الموضوع: تعرّفت عبر الأنترنيت على صديق جديد فحدّثك عن أسباب سعادته بحياته اليوميّة ذاكرا لك أهمّ الأنشطة التي يمارسها في أوقات فراغه.

انقل ما حدّثك به صديقك ثمّ صف أثره في نفسك

التحرير:

رغم تعرّفي على العديد من زملاء الدّراسة إلاّ أنّني لم أصادق أيّا منهم إذ كنت ميّالا إلى العزلة أستعذب راحة العيش في قوقعة لم أصادق فيها غير حاسوبي وفأرته الصّغيرة وذات يوم ولجت الشّبكة العنكبوتيّة كعادتي في محاولة للتّرفيه عن نفسي فأثارتني صورة طفل بدا لي بشوشا بنظرة متفائلة وابتسامة هادئة انجذبت إليه فخاطبته وبالسّعادتي لقد عرضت عليه أن نتصادق فقبل دون تردّد وتجاذبنا أطراف الحديث فتبادلنا معلومات عن بلدينا الموقع والمناخ والطّبيعة ثمّ تواعدنا على لقاء لاحق وانصرفنا. انصرفت وقد أثار فضولي في اكتشاف عالمه الذي بدا لي سحريّا أخّاذا لم أعهده في ما اكتشفته سابقا.

وذات يوم بينما كنت أتصفّح وجوه الأنترنيت وجها وجها إذ خطر ببالي أن أتّصل بصديقي الجديد ففعلت وما أروع ما حدّثني به لمّا سألته عن حياته اليوميّة وسبل ترفيهه فقال متحدّثا عن أسباب سعادته :

أنا طفل يوناني من أطفال هذا العالم أرفل في النّعيم والرّخاء وأشعر بأنّ الظّروف قد حبتني بأسباب السّعادة والهناء وقد حفّني الله بالرّعاية والرّضوان إذ يسّر لي سبل التّمتع بطفولتي فأنا أحظى بالعيش في وطن حرّ شاسع الأرجاء حافل بمظاهر الخضرة والجمال يتجذّر بمعالمه الأثريّة العديدة في التّاريخ أتأمّل وطني فيزيد فخري بالانتماء إليه.

في بلدي أشعر بالأمن والاستقرار وأتنفّس نسائم الحريّة. أسرتي ممتدّة أفرادها متكاتفون كحبّات العنقود بين أهلي وعشيرتي أحيى حياة الأمراء إذ أجد من الرّعاية ما يطمئن بالي ويجعلني أقوم بواجباتي وأمارس هواياتي بلا منغّصات. أمضي الصّباح في التّعلّم رفقة أترابي طيّبين لا تجمع بيننا غير المودّة بقيادة مربية قديرة جعلتنا أبناء لها فجعلناها أمّنا.

أمّا المساء فأصافح فيه عالمي الخاصّ إنه وقت الفراغ الذي لا فراغ فيه حيث يؤمّ الأطفال في بلدي دور الثّقافة والموسيقى والنّوادي التّرفيهيّة والرّياضيّة كالفروسيّة وما شابهها من الألعاب. وكنت أهوى زراعة الورود والاعتناء بها ولذلك خصّص لي والدي الجزء الأكبر من

الموضـــوع : ربطتك علاقة صداقة بطفل سوري لاجئ، كان على حال من البؤس و الحاجة، و خلال حوار بينكما حدثك عن هوْل ما عاشه و يعيشه بقية الأطفال في بلده بسبب الحرب ، فتعاطفتَ معه و سعيْت إلى مساعدته.

انقل ذلك، واصفا حال الفتى ناقلا الحوار الذي دار بينكما و كيفية مساعدتك له.

نشأت معتقدا أن كلّ الأطفال يعيشون الحب و الدفء في ظل أسرهم و الأمنَ و الاستقرارَ و الطمأنينة في أحضان أوطانهم، إلى أن التقيت بأحمد الطفل السوري اللاجئ فأدركت بشاعة الحرب و فظاعة ما يعانيه الأطفال من شقاء في ظل الحروب التي تجري في بلدانهم و تحرمهم التمتع بطفولتهم مثل بقية الأطفال في العالم.

عرفتُهُ مصادفة ، وصار فيما بعد صديقي المقرب ، إنه "أحمد" اللاجئ السوري، فقد كان يتردد على بطحاء الحي من حين لآخر، و يمكث طويلا يراقبنا أثناء لعبنا، فقرأت في عينيه رغْبَةً مُلِحَّةً في اللعب و آلمتني حالة البؤس و الحاجة التي تظهر عليه، فقد كان رثَّ الثياب تبدو عليه سيماء الخصاصة و الحاجة ، و كان شاحب الوجه كاسف اللون موصول الصمت كثير الشرود، ابتسامته باهتة و حديثه معي يكشف في كل مرة أعماقه الحزينة . فتجرأت يوما وسألته :

-فِيمَ حزنك يا صديقي ؟

فأجابني و الألم يُخالِطُ صوته :

-كيف لا أحزن وأنا الذي عانيت من ويلات الحرب ثم اضطررت إلى ترك وطني بسببها؟! أجل يا صديقي ، لقد حرمتني الحرب أنا وبقية الأطفال في بلدي من حقنا في الحياة الكريمة و من التمتع بطفولتنا.. فقبْل أن أصل إلى تونس أنا و عائلتي كنا لا نكاد نستقر ببيت حتى نغادره إلى آخر ، و احتماؤنا بالملاجئ كلما اشتد القصف كان دأبًا و عادةً...

ذُهِلْتُ لِمَا قاله صديقي، و اندفعت مستفسرا : و كيف كنت تتمكن من الوصول إلى المدرسة في ظل هذه الظروف ؟

فأجاب و علامات الاستغراب تعلو محياه :

-عن أي دراسة و أي مدرسة تتحدث؟! لقد انقطعت عن الذهاب إلى المدرسة منذ اندلعت الحرب ، فالطريق محفوفة بالمخاطر، و المدارس مهددةٌ بالقصف في كل لحظة ، كما أن الحرب كانت تَحُول دون وصول والدي إلى مقر عمله ، فكلما طالت مدة القصف عانى البطالة وعانينا نحن الجوع ، و عجزنا عن توفير مستلزمات الدراسة.

حديقة المنزل. قد تبدو هوايتي مختلفة لكنّي أعشق عبق الزهور ويتجدّد فيّ هذا العشق كلّما صافحت بتلاتها الرّقيقة وتسرّب شذاها إليّ فأتشرّبه ملء رئتيّ . عطرها النّديّ يأسرني وريحها الملائكيّ يأخذني. هذه الزّهرة طفلتي المدلّلة وتلك شابّة أينعت وأن قطافها وهذه عجوز ذوت وانحنت فأحنو عليها في رفق وأنه . أقضي الأمسية أداعب وريداتي في عالم من السّحر والجمال وقد أقطف منها ما أنظم به باقات فوّاحة أجعلها رسائل حبّ ووفاء لأصدقائي حين أزورهم فيجودون عليّ بأناملهم الرّقيقة رقّة قلوبهم أنغاما سحريّة أو جولات على ظهور جيادهم في البريّة فتزيد من سعادتي وتنمّي فيّ حبّ الحياة والوفاء لوطني حتى الممات .

أنهى صديقي كلامه وكنت منصتا إليه مصغيا تكاد زهوره الفوّاحة تعطّر أرجاء غرفتي . يا لجمال حياته وحسن استثماره لأوقاته . حقيقة ما أجمل أن تكون لك هواية جميلة كهوايته تمارسها في أوقات فراغك فتنير ظلمة نفسك وتسعدك وتطرد عنك شعور اليأس والضّجر لكنّ الأجمل منه أن يكون لك صديق صدوق وخلّ ودود يقاسمك اللّحظات السّعيدة فيزيد من سعادتك. وبفضل صديقي الجديد هذا عزمت على الخروج من قوقعتي تلك وتغيير ما بنفسي .

تمرين يومي

انْفَطَرَ قلبي و أنا أستمع إلى كل هذا ، لكن "أحمد" لم يترك لي فرصة الكلام و أضاف قائلا :

-لقد هدّمتِ الحرب بلدي ، و صرنا نعيش بين الرُّكام و أشلاء الموتى ، و الخوف يسكن القلوب ، فلا عيشٌ سعيدٌ و لا نومٌ هَنِيئٌ . لقد أتعس هذا الوضع أحلامنا نحن الأطفال و حلّ الشقاء و المعاناة محل السعادة و الأمل ، فبأي ذنب كُتِب علينا كل هذا الشقاء؟!

سكت "أحمد" قليلا، ثم تابع و الغَبْرة تخنقه :" لَكَم أشتاق إلى منزلنا القديم و كل الذكريات التي عشتها هناك...و ما أفتأ أذكر رفاقي و مدرستي و أحن إليهم.. أنا الطفل ابن العشرة أعوام تركتْ لُعَبِي و دفاتري و أوراقي و تركتْ معها أحلامي و غادرت ذات صباح حزين المنزلَ و الحيَّ الذيْن احتضنا أجمل أوقات الطفولة .. لقد جعلتني الحرب أكبَرُ قبل الأوان و جعلت أحلامي تشيخ قبل أن ترى النور.

أحزنني جدا ما سمعت من صديقي و حاولت مواساتَه و التّخفيف عنه ، لكن ذلك بدا لي غيرَ كافٍ ، فقد أردتُ أن أترجم تعاطفي و تضامني معه على أرض الواقع فأساعد في التخفيف من معاناته هو و بقية الأطفال في بلده. و منذ ذلك اليوم صرت أقدّم لأحمد كل ما استطعت من مساعدات مادية ، و أدعوه من حين لآخر إلى منزلي و أمكنه من حاسوبي حتى يتواصل مع أصدقائه السوريين، بل صرت أستغلُّ مختلف مواقع التواصل الاجتماعي للتعريف بقضيّته و بوضعية الأطفال اللاجئين أمثالِه في تونس ، و طلبت من رفاقي في الفصل و مُدرّسيَّ أن نبادر بجمع تبرعات نرسلها إلى الأطفال السوريين حتى نخفف مما يعانونه من شقاء و شظف عَيْشٍ ، و لكَمْ سرّني تفاعلهم و انخراطهم في هذا العمل الإنساني النبيل.

لقد توصلت إلى التخفيف من معاناة صديقي "أحمد" و بقيةِ الأطفال في بلده بالقدْر المتاح، لكن يظل هناك الكثير من الأطفال الذين يعانون في مختلف بلدان العالم ، فمتى سيعي الكبار مُعاناتِهم؟ و متى سيعُون حجم الدمار النفسي و المادي الذي يسببونه لهم ؟